

في حدائق العرب

﴿ الحرب ﴾

الحرب رحي ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ،
ونفاقها الاثارة ، وزمامها الحذر . ولكل شيء من هذه ثمرة : فثمرة الصبر
التأييد ، وثمره المكر الظفر ، وثمره الاجتهاد التوفيق ، وثمره الاثارة اليمن ،
وثمره الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب
بين الناس سجال ، والرأي فيها ابلغ من القتال

قال عمر بن الخطاب لعمر بن معدي كرب : « صف لنا الحرب »
قال : « مرّة المذاق اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن
نكل عنها تلف ، ثم انشأ يقول :

الحرب اول ما تكون فية نسي بزيتها لكل جهول
حتى اذا حيت وشب ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشتم والتقبل

وقال عنبرة الفوارس : اول الحرب شكوى ، واوسطها نجوى ،

وآخرها بلوى

وقال نصر بن سيار ، صاحب خراسان ، يصف مبتدأ الحرب :

أرى خلل الرماد وميض نار وبوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها كلام

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني

ومن اقوالهم : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة

وقال هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة : هل دخلك ذعرٌ قط
لحربٍ أو عدو؟ - قال : ما سامتُ من ذعرٍ نهني الى حيلة ، ولم يغشني
ذعرٌ سلبي رأبي . - قال هشام : هذه والله البسالة

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حصين بن الحمام :
تأخرت استبقي الحياة فلم اجد نفسي حياةً مثل ان أتقدما
وقال المهلب لبيته : عليكم بالمكيدة في الحرب ، فانها ابلى من النجدة
وسئل اهل التميرين بالحرب : اي المكائد فيها احزم؟ - قال :
اذكاء العيون ، وافشاء الغلبة ، واستطلاع الاخبار ، واظهار السرور ، وامانة
الفرق ، والاحتراس من المكائد الباطنة من غير استقصار لمستنصح ولا
استناد لمستفسٍ ، واشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره

وكان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتهم فأطيلوا الاظفار
وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزراً وكلموهم رمزاً واطعنوهم وخزاً
وكان أبو مسلم يقول لقواده : اشعروا قلوبكم الجرأة ، فانها من
اسباب الظفر ، واكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الاقدام ، والزموا
الطاعة فانها حصن المحارب

وكانوا يتجادحون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على الفراش ،
ويقولون فيه « مات فلان حتف الله » . ولما بلغ عبد الله بن الزبير مقتل
أخيه قال : ان يقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً
ولكن قطعاً باطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف ، ومن ذلك قول
السموأل : وما مات منا سيدٌ حتف الله